

روح المعاني

إذا إذا قلنا : ان الاحاطة انما تكون للأجسام دون المعاني فلا بد من ارتكاب تجوز في الكلام على تقدير اسنادها الى العذاب لكن لا على الوجه الذي ذكره هذا الزعم كما لا يخفى وفي جمع كانوا يستهزؤون ما مر غير مرة في أثاله و به متعلق بما بعده وتقديمه لرعاية الفواصل .
قل سيروا في الأرض ثم أنظروا كيف كان عاقبة المكذبين .
11 .

- خطاب لسيد المخاطبين صلى الله عليه وسلم وانذار قومه وتذكيرهم بأحوال الأمم الخالية وما حاق بهم لسوء أفعالهم تحذيرا لهم هما هم عليه مما يحاكي تلك الافعال وفي ذلك أيضا تكملة لتسليته E بما في ضمنه من العدة اللطيفة بانه سيحقيق بهم مثل ما حاق باضرابهم الأولين وقد أنجز سبحانه وتعالى ذلك إنجازا أظهر من الشمس يوم بدر والمراد من النظر التفكير وقيل : النظر بالابصار وجمع بينهما الطبرسي بناء على القول بجواز مثل ذلك و كيف خبر مقدم لكان أو حال وهي تامة والعاقبة مآل لشيء وهي مصدر كالعاقبة والتعبير بالمكذبين دون المستهزيين قيل : للاشارة إلى أن مآل من كذب إذا كان كذلك فكيف الحال في مآل من جمع بينه وبين الاستهزاء وأورد عليه أن تعريف المكذبين للعهد وهم الذين سخروا فيكونون جامعين بين الأمرين مع أن الاستهزاء بما جاؤا به يستلزم تكذيبه ولا يخفى أن مقصود القائل إن أولئك وإن جمعوا الأمرين لكن في الاشارة اليهم بهذا العنوان هنا ما لا يخفى من الاشارة إلى فضاعة ما نالهم وقيل : إن وضع المكذبين موضع المستهزيين لتحقيق أنه مدار أصابهم هو التكذيب لينزجر السامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهم أنه المدار في ذلك وعطف الأمر بالنظر على الأمر بالسير بثم قيل للايدان بتفاوت ما بينهما وإن كان كل من الأمرين واجبا لأن الأول إنما يطلب الثاني كما في قولك : توضأ ثم صل وقيل : للايدان بالتفاوت لأن الأول لاباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع والثاني لايجاب النظر في آثار الهالكين ولا ريب في تباعد ما بين الواجب والمباح وأورد عليه كما قال الشهاب أنه يأباه سلامة لذوق لأن فيه اقحام أمر أجنبي وهو بيان إباحة السير للتجارة بين الاخبار عن حال المستهزيين وما يناسبه وما يتصل به من الأمر بالاعتبار بآثارهم وهو مما يخل بالبلاغة اخلاا ظاهرا .

وتعقب بأن هذا وان تراآى في بادية النظر لكنه غير وارد إذ ذاك غير أجنبي لأن المراد خذلانهم وتخليتهم وشأنهم من الاعراض عن الحق بالتشاغل بأمر دنياهم كقوله تعالى : وليتمتعوا وهذا حاصل ما قيل : إن الكلام مجاز عن الخذلان والتخلية وإن ذلك الأمر متسخط

إلى الغاية كما تقول لمن عزم على أمر مؤد إلى ضرر عظيم فبالغت في نصحه ولم ينجع فيه أنت وشأنك وافعل ما شئت فانك لا تريد بذلك حقيقة الامر كيف والآمر بالشيء مريد له وأنت شديد الكراهة متحسر ولكنك كأنك قلت له : إذ قد أبيت النصح فانت أهل لأن يقال لك : افعل ما شئت ولا يخفى أن انفهام ذلك من الآية في غابية البعد وفرق الزمخشري بين هذه الآية وقوله في سورة النمل : قل سيروا في الأرض فانظروا بحمل الأمر بالسير هنا على الاباحة المذكورة آنفا وحمل الأمر به هناك على السير لأجل النظر ولهذا كان العطف بالفاء في تلك الآية ونظر بعضهم بغير ما أشرنا اليه أيضا .

وذكر أن التحقيق أنه سبحانه قال هنا : ثم انظروا وفي غير ما موضع فانظروا لان المقام هنا يقتضي